

المعاهدة في الصحف البريطانية

فوجئنا من السياسة بلون جديد ينحو الى الاستفزاز
بعد ذلك الاحتياط البالغ اذ حملت لنا البرقيات
اقوالاً للصحف البريطانية تصف المعارضة وهي
الشعور السائد في العراق بانها غير مفزعة وانها
رخيصة ليست بذات اثر .

منذ أعلنت نصوص المعاهدة الجديدة - ولن اسميها باسم مكانها
على رغم الانكليز تفاؤلاً بنقضها - بدأت الصحف الانكليزية
تفترض لها المحاسن . وتقدر لها الجمالات وتفرغ تلك الفروض
والتقدير بقوالب شعرية ولغة أقرب إلى الغزل منها إلى بحث معاهدة
متصلة بآمال شعب ومصير بلاد ، ونتائج جهاد طويل أدمى نفوس
أبطاله ومفكره . والبحث في مثل هذه المعاهدة ، وعلى ضوء هذه
الظروف لا يسمو إلى شيء من الاعتبار والوجاهة إذا صيغ بهذه

اللغة السطحية التي توحىها مكاتب الدعاية والاستعلامات الانكليزية رغم علمها بان الامة العربية كبرت عن أن تخدع بما يخدع به الاطفال ، فهي الان في وعي إذا انضم الى تاريخها ومؤهلاتها الحضارية الموروثة ينتج انما امة حبة يقظة لا تليق بها هذه اللغة التي تدل على جهل الصحف الانكليزية بمعالجة ما تعالجه من الابحاث المتصلة بسياستها في بلادنا .

ومهما يكن من أمر فان مجشها للمعاهدة العراقية الانكليزية الجديدة على هذا النحو أمر لا يضرنا ، وقد يكون وسيلة من وسائل الترفيه والتسلية في نظرنا نقراء فيما نقرأ من الافاكيه المضحكة . ونرى فيه عقلية (زنجية) في وسط انكليزي ...

ليكن هذا ولا خير ، على اننا من جهة أخرى لا نناقش هذه الصحف حين تدعو الى (مصلحة انكليزية) لاننا لا ننتظر من الصحف الانكليزية ان تعق حكمها ، وتخرج على مصالح دولتها ، فلها ان تصف (معاهدتها) بما تشاء ، وتحببها باي أسلوب تراه يوصلها الى الغاية من تقريبها الى الازهان ، وادنائها من النفوس ، ولها من حيث أسلوب البحث أن تختار لنفسها ما تشاء: الطريقة العلمية أو طرق الدعاية القشرية فذلك ما يتصل بها مباشرة أكثر بما يتصل بغيرها .

ولكن أمراً واحداً ليس هو من حقها ولا مما يقع في حدود صلاحيتها ان كانت على حظ من التهذيب والمعرفة والتأثر بالتيارات الانسانية الحديثة ، وهذا الامر هو أنها تعرضت لمعارضة المعاهدة في العراق فقالت: إن المعارضة ينبغي أن لا تُفزع ، ثم جعلت لبريطانيا

وصاية على الشرق كله ، وحملتها مسؤولية ما يقع فيه لنجعل
لبريطانيا سلطاناً تفرض بمقتضاه ما تريد على هذا الشرق المسكين .
والواضح من هذا انها تريد أن تزرع الرعبية وتشهر سلاح
الخوف في ارجاء الشرق لتلزمه بالعبودية للانكليز ، ملوحة له بشبح
الحرب الروسية ، ومعنى ذلك انها تصارحنا باننا سنكون أكباشاً
للتضحية عن مصالحها الخاصة بجبرين ، وفي ذلك فظاظة وغلظة
لا يميلان بالخليف . . حتى الخليف المستعمر الاناني الذي يقسم
الشركة بينه وبين شريكه قسمة ضيزى يستأثر هو بالمنفعة حين تدر
اخلاف النعم ، ويعطي لشريكه الغرامات يتحملها وحده حين
تبعث الاهوال وتتراكم الحن السود .

لم يكن من رأيي أن أعلق على المعاهدة الجديدة لاني اعتبرها
- ولا موارد في الحق - عبثاً مفروضاً على العراق دون رضاه ،
(غير اني ألفت النظر الى هذه العبارة في الصحف الانكليزية
المعارضة : غير مفرقة) ففيها استهانة جديدة جريئة
بحق العراق ، ثم ألفت النظر الى هذا التعليل لعدم أهمية
المعارضة : (لان بريطانيا مسؤولة عن الامن في الشرق) ففيه تهديد
وفيه تحكم بادعاء وصاية على الشرق فات الوقت عليها ، لان الشرق
بلغ رشده . ولان صلاته بالانكليز وبغيرهم يجب ان تكون على
أساس المساواة في اغتنام المصالح وتأدية المغارم على السواء ، أما
سياسة الرق فقد فاتها القطار .

وعلى الصحف الانكليزية ان تكون دقيقة رقيقة فيما تكتب
فان في البلاد العربية صحفاً تعبر عن أماني امة ا هي الاممة

العربية) لها من الحق بالحياة مثلما للانكليز ، ولها بالحكم عهد قبل أن يبلغ الانكليز حد الفطام .

سياسة الاستفزاز

ولم يأت الذي ظهر في الصحف الانكليزية من استفزاز العراق عفواً ، بل كان - كما ظهر - صادراً عن خطة ان لم تكن اخت الغرور فهي له ابنة عم ، ومهما شككنا فاننا لا نشك في الفائدة التي استثمارتها الحركة الشعبية في العراق من هذه الخطة بما ايقظت بتحديثها هذا من (ذاتية) العراقي وشعوره بنفسه .

ومهما شككنا فلا نشك ايضاً بان هذه الخطة كانت مصدراً لتصريحات فخامة صالح جبر ونوري السعيد بعد سقوطها .

ومهما شككنا بعدئذ فلا نشك في انها واثت السيد جمال بابان ، وساعدته على الاستفزاز للتجريك على عهد صالح جبر ببيانته يوم ١٩ / ١ / ٤٨ اذ فاجأ الطلاب بعد اعلانهم الحُلول الى السكنية فتجدهم تحدياً اثارهم فاذا هم يتظاهرون من جديد اوسع تظاهرة واصليها منادين بسقوط الوزارة والمعاهدة ، والاتفاقيتين الاردنية والتركية ، واراوت الحكومة ان تبر بوعدها من اصلات السيف ، غير أن الطلاب كانوا متمرين ، فكان ما ليس منه بسد والتقى الصفان بعد أن حطم الطلاب مكتب الانباء العربية واحرقوا دار (التيمس البغدادية) ، وساد الرعب يومئذ فانقطعت المواصلات واقفلت الاسواق واستغل اليهود هذا الحادث فاطلقوا النار من مكائهم ، ولم تنته المعركة قبل ان تسجل ضحايا اكثرها من الطلاب

وبعضها من الشرطة .

ومن الحق أن معركة هذا اليوم غير المنتظرة استغلت لجهتين متناقضتين ، استغلها المحربون رجاء ان تتوسع فتحدث ثورة ، واستغلها المستأجرون رجاء ان تحدث فتنة أهلية تنتهي بسيادة الانكليز . غير ان القيادة الشعبية تنبأت الامر فاستدركته في وقائع الايام التالية . لذلك كانت المعركة من جانب الطلاب بعدئذ سلبية فقط ، ثم كان الطلاب امناء على الامن بحق ، حفظوه من انفسهم ومن غيرهم ايضاً .